جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

تحالُفات مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبيّة في الشَّرق وأثرها على قوة وضَعْف هذه الإمارات خلال الفترة ٤٩٠- ٥٨١هـ/ ١٠٩٧- ١١٨٦

سعد خليل اسماعيل الشعيبات

محاضر غير متفرغ في عدد من الجامعات الأردنية
عمان – مرج الحمام
saad20090310@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ٢٢٠٢١/٠٤/٢٦
تاريخ القبول للنشر: ٢٠٢١/١٢/٢٢

تحالُفات مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبيّة في الشَّرق وأثرها على قوة وضَعْف هذه الإمارات خلال الفترة ٤٩٠- ٥٨١هـ/ ١٠٩٧- ١١٨٦

سعد خليل اسماعيل الشعيبات

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان طبيعة علاقات مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبيّة مع القوى المحيطة بها في المشرق الإسلاميّ، وما نتج عن هذه العلاقات من تحالُفات عسكرية، أفضت إلى المحافظة على بقاء الإمارات الصليبيّة واستمرارها، من خلال تحليل هذه التحالُفات؛ للوصول إلى الاستنتاجات التي تؤدِّي إلى نجاح التحالُف أو فشله، سواء أكانت هذه التحالُفات مع قوة صليبية لاتينية أم أرثوذكسية أم إسلامية، وذلك من خلال منهج البحث التاريخيّ والمنهج النقديّ والمنهج الوصفيّ، حيث خلُص البحث إلى عدة نتائج، من أبرزها أن التحالُفات الصليبيّة الناجحة كانت بسبب وجود قيادة مركزيةٍ، لها نفوذ على جميع الإمارات الصليبيّة، وقد تركز هذا في فترة حكم الملك بلدوين الأول وبلدوين الثاني، كما كانت عدم جدّية الصليبيّين في تحالفهم مع القوة البيزنطية راجع إلى تخوفهم من احتمالية سيطرة الإمبراطور البيزنطيّ على الإمارات الصليبيّة، وأن نجاح تحالُفات الصليبيّين مع بعض المدن والقوى الإسلاميّة كان بسبب حالة الانقسام والضَعْف التي كانت عليها المدن الإسلاميّة حيث بدأت هذه التحالُفات تفقد قيمتها عندما ظهرت قيادةٌ إسلاميةٌ مُسيطرة.

الكلمات المفتاحية: الصليبيّون؛ التحالُف؛ العلاقات؛ القيادة والسيطرة؛ الإمدادات.

The alliances of the Kingdom of Jerusalem and the Crusader Emirates in the East and their impact on the strength and weakness of these Emirates During the period 490 - 581 AH / 1097 - 1186 AD

Saed Khalil Ismail Al-Shuaybat

Abstract

This research aims to clarify the nature of the relations between the Kingdom of Jerusalem and the Crusader emirates with the forces surrounding it in the Islamic East, and the military alliances that resulted from these relations, which led to the preservation and continuity of the Crusader emirates, by analyzing these alliances to reach the conclusions that lead to success The alliance or its failure, whether these alliances were with a Latin, Orthodox, or Islamic Crusader force, through the historical research approach, the critical approach, and the descriptive approach. This was concentrated during the reign of Kings Baldwin I and Baldwin II, and the lack of seriousness of the Crusaders in their alliance with the Byzantine power was due to their fear of the possibility of the Byzantine emperor controlling the Crusader emirates, and that the success of the Crusader alliances with some Islamic cities and powers was due to the state of division and weakness that was Islamic cities, as these alliances began to lose their value when a dominant Islamic leadership emerged.

Keywords: Crusaders; Alliance; Relationships; Command and Control; Supplies.

المقدمة

تعتبر التحالُفات من الطرق المُتَّبعة في تعويض نقص الجند والمؤونة في الحروب (عبد الأمير، ١٩٧٨: ٢٣٦- ٢٣٨)، وقد اتَّبع الصليبيّون هذه الطريقة خلال تواجدهم في المشرق الإسلاميّ، ولم تكن هذه الطريقة الوحيدة المُتَّبعة عند الصليبيّين، فقد استعاض الصليبيّون أيضاً عن نقص العنصر البشري من خلال بناء شبكة كبيرة من الحصون والقلاع، كانت تؤمِّن المؤن من خلال الغارات على الأرياف أو فرض الضرائب على القوافل التجارية والمدن الخاضعة تحت سيطرة الصليبيّين (زكي، ١٩٦٩: ٥٢- ٥٥؛ النفيسي ٢٠١١: ١٣٩).

لذلك سوف يقوم هذا البحث بعرض التحالُفات التي أبرمها الصليبيّون فيما بينهم ومع القوى المحيطة بهم في المشرق الإسلاميّ، والتي كانت تهدف للإبقاء على الوجود الصليبيّ في النصف الأول من فترة قيام الإمارات الصليبيّة خاصةً إذا ما تم قياس هذه التحالُفات مع حالة التشرذُم والانقسام التي كانت تعيشها المدن الإسلاميّة ثم نمو القوى الإسلاميّة وتدميرها لهذه التحالُفات بمجرد ظهور شخصية قيادية، تقوم على توحيد الجبهة الإسلاميّة في وجه القوى الصليبيّة.

ولمَّا كانت التحالُفات الصليبيّة طريقة من الطرق التي استخدمها الصليبيّون لتعويض نقص المؤن والمعدات فإنهم لم يفرقوا عند إبرامها بين صديق وعدو، بل ركزوا على تحقيق الهدف من إبرامها وهو المحافظة على بقاء الإمارات الصليبيّة وتوسعها إذا أمكن ذلك.

ولم تتطرق الدراسة إلى أي تحالف ضم قوة من خارج منطقة الشَّرق الإسلاميّ التي تواجدت بها القوى الصليبيّة اللاتينية والأرثوذكسية والإسلاميّة، وذلك لأن ضم هذه القوى إلى البحث سيؤدِّي إلى خروج البحث عن فكرته الأساسية القائمة على الاستراتيجيات المُتَّبعة عند الصليبيّين لتعويض نقص الإمدادات الأوروبية، كما سيؤدِّي إلى إدخال جميع القوى الصليبيّة القادمة من أوروبا ومن ضمنها الحملات الصليبيّة الأولى والثانية وجميع من قدم من أوروبا كحجاج أو مقاتلين إلى البحث.

وتوقف البحث عند عام ٥٨١هـ/ ١١٨٦م لأن التحالُفات الصليبيّة بعد هذا التاريخ والتي حققت نتائج للصليبيين في المشرق كان غالبها بواسطة القوى الأوروبية التي كانت تقدم في الحملات الصليبيّة أو بينها، بالإضافة إلى ارتباط الصليبيّين بمعاهدات مع المسلمين في الفترة التي تلت معركة حطين عام ٥٨٧هـ/ ١١٨٧م وهي معاهدة الرملة (صلح الرملة) عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٢م ومدتها ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وصلح الملك الكامل مع قادة الحملة الصليبيّة الخامسة عام ٦١٨هـ/ ١٢٢١م ومدته ثمان سنوات ومعاهدة يافا ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م ومدتها عشر سنوات.

حيث تمتعت العلاقات الصليبيّة الإسلاميّة في أغلب الأحيان خلال المعاهدات بالاستقرار النسبيّ المرتبط بالتزام كل طرف ببنود المعاهدة حيث استغل الصليبيّون المعاهدات لطلب العون والدعم من أوروبا بينما استغله الحكام المسلمون في ترتيب شؤون حكمهم الداخلية (حجازي، ٢٠١٥: ٢- ٧)، باستثناء فترات تولى القيادات الإسلاميّة المميزة لزمام الأمور في المنطقة والتي استغلت هذه الاتفاقيات بهدف تحضير القوى الإسلاميّة وتعبئتها وتوحيدها لمواجهة الصليبيّين، ومنها هدنة عماد الدين زنكي مع الرها عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م (وشاح، ٢٠١٩: ٩)، ومعاهدة صلاح الدين مع الملك بلدوين الرابع Bldwn IV عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٠م (وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٤٥)

أمّا التحالُفات الأُخَر التي استفاد منها الصليبيّون فهي المعاهدات التي تعقد بين الصليبيّين أنفسهم ضد أعدائهم في الشَّرق، أو بين الأطراف الصليبيّة المتحاربة فيما بينها أيضاً، أو بين الصليبيّين والمسلمين أو الصليبيّ اللاتين والأرثوذكس، حيث ظلت هذه التحالُفات عنصر قوةٍ بيد الصليبيّين إلى أن بدأ الصليبيّون بالانقسام والتشرذُم في ظل وجود قوة إسلامية صاعدة ابتداءً بالدولة الزنكية ثم الأيوبية والتي حطمت الوحدة الصليبيّة ثم دولة المماليك التي أنهت الوجود الصليبيّ في منطقة المشرق الإسلاميّ، وكما يقول المؤرخ وليم الصوري «كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب» (١٩٩١: ٣/ ٦١).

ولقد عرضت كثيرٌ من الدراسات التاريخية الحالة السياسيّة أو الاقتصادية أو الاجتماعية للوجود الصليبيّ في منطقة الشَّرق الإسلاميّ، بينما كانت الدراسات التي عُنيت بدمج الحالة السياسيّة والاقتصادية والاجتماعية وتحليلها للوصول إلى العديد من الاستنتاجات التي تحدد أسباب الضَعْف أو القوة للصليبيين قليلة جدًّا.

مشكلة البحث

وتكمن مشكلة هذه الدراسة في استعراض الدور السياسيّ الذي تلعبه الاتفاقيات والتحالُفات المُبرمة من قِبل القوى الصليبيّة مع جميع القوى الموجودة في منطقة الشَّرق لتحقيق أهداف سياسية تتمثل في الحفاظ على بقاء الإمارات الصليبيّة، وأهداف اقتصادية وهي تعويض نقص التمويل التي تعاني منه الإمارات الصليبيّة في الشَّرق والذي يضم الإمدادات العسكرية من معدات وأسلحة وتموين غذائي ومالي والذي من المفترض استمرار تدفقه من أوروبا خاصة في النصف الأول من فترة وجود الإمارات الصليبيّة في المشرق الإسلاميّ، تلك التي كانت تعتبر فترة تأسيس لقوة غير مقبولة من قبل القوى المحيطة بها.

تساؤلات البحث

لذلك تبرز مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

ما الدور الذي لعبته التحالُفات الصليبيّة في المحافظة على الوجود الصليبيّ في منطقة الشَّرق الإسلاميّ خلال فترة البحث؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية، هي:

1. متى بدأ الصليبيّون بعقد التحالُفات؟
2. ما القوى المفضلة للصليبيين لعقد التحالُفات معها؟
3. ما أسباب نجاح التحالُفات الصليبيّة؟

4. ما أسباب فشل التحالُفات الصليبيّة؟
5. كيف فككت القوة الإسلاميّة التحالُفات الصليبيّة وأضَعْفتها؟
6. ما أسباب تخوف القوى الصليبيّة من التحالُف مع الامبراطورية البيزنطية؟

الدراسات السابقة

ومن الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع قريبة في طرحها من موضوع هذا البحث ما يأتي:

1. الفصل الثاني والثالث في الجزء الأول من كتاب «تاريخ الحملات الصليبيّة» للمؤلف رنسيمان، فقد تناول المؤرخ رنسيمان حالة الانقسام والضَعْف وعدم نجاح التحالُفات الصليبيّة، من خلال تركيزه على ذلك في فصلين من كتابه تاريخ الحملات حيث سمَّى الفصل الثاني (الشقاق المسيحي)، وسمَّى الفصل الثالث (الإخفاق التام).
2. بحث منشور في مجلة كلية الآداب في جامعة أسيوط للدكتور حسن محمد البطاوي، بعنوان «مصادر تموين الحملة الصليبيّة الأولى ١٠٩٥- ١٠٩٩م/ ٤٨٨- ٤٩٢هـ» حيث تطرق الباحث إلى تحالف القوات الصليبيّة مع الامبراطورية البيزنطية في الفترة الأولى من تواجد الصليبيّين في الشَّرق.
3. بحث منشور في مجلة حوليات عين شمس – كلية الآداب للدكتور محمد الطراونة والدكتور محمود الرويضي، بعنوان «دور الأرمن في تأسيس إمارتي الرها وأنطاكية الصليبيّتين خلال الفترة ٤٩٠- ٤٩١هـ/ ١٠٩٧- ١٠٩٨م» حيث يعرض البحث وجهة نظر الباحثين في تحالف الأرمن الأرثوذكس مع الصليبيّين اللاتين.
4. كتاب «إمارة الرها الصليبيّة» للدكتور محمود محمد الرويضي والذي يعرض فيه المؤلف التحالُفات والاتفاقيات المبرمة بين الأمراء الصليبيّين والبيزنطيين المبنية على حلف يمين الولاء للإمبراطور البيزنطي في بداية تشكل الإمارات الصليبيّة.
5. كتاب تمويل الحملات الصليبيّة خلال الفترة ٤٩٤- ٦٩٠هـ/ ١٠٩٥- ١٢٩١م للدكتورة نهى عوض العجمي حيث عرض الكتاب المصادر التي ارتكز عليها الصليبيّون في تمويلهم المالي من أوروبا، وأشار الكتاب إلى طبيعة العلاقات بين الإمارات الصليبيّة التي ترتكز على حماية كل إمارة للإمارة الأخرى.

منهج البحث

وقد استخدم في الدراسة مناهج البحث الآتية:

1. منهج البحث التاريخي القائم على استقصاء المعلومات من المصادر والمراجع الأجنبية، والعمل على تحليلها ومقارنة النصوص ببعضها بعضًا، وفي حالة وجود تباين في الروايات تُرجَّح الرواية الأقرب للحدث زماناً ومكاناً.
2. منهج الوصف القائم على السرد التاريخيّ للمعلومات، بالاعتماد على المصادر الأولية، وهو منهجٌ لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابة التاريخية.
3. منهج المقارنة والنقد بين المصادر والمراجع للوصول إلى صورة أقرب ما تكون للحقيقة التاريخية من خلال تمحيص الآراء المختلفة في تحديد الغاية من كل تحالف من التحالُفات الصليبيّة في فترة الدراسة.

وقد قُسِّم البحث على أربعة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:

المبحث الأول: تحالف الإمارات الصليبيّة اللاتينية مع بعضها بعضًا في المشرق الإسلاميّ.

حيث بين طبيعة العلاقات التي تربط الإمارات الصليبيّة مع بعضها بعضًا، مع بيان فترات قوة هذه العلاقات وضَعْفها.

المبحث الثاني: التحالُفات الصليبيّة اللاتينية مع القوى الأرثوذكسية في الشَّرق الإسلاميّ.

حيث بين اندثار الخلاف الديني بين القوى المسيحية في المشرق في سبيل تحقيق الهدف الأسمى، وهو بقاء الإمارات الصليبيّة في المشرق الإسلاميّ.

المبحث الثالث: التحالُفات الصليبيّة مع القوى الإسلاميّة في المشرق الإسلاميّ.

حيث بين هذا المبحث استغلال القوى الصليبيّة في المنطقة لحالة الضَعْف والانقسام التي كانت عليها المدن الإسلاميّة في سبيل تحقيق مصالحها.

المبحث الرابع: استنتاجات ودلالات نجاح تحالف القوة الصليبيّة، حيث ركز هذا المبحث على الوقوف على العوامل والنقاط المهمة التي كان لها الدور الفاعل في المحافظة على استمرار القوة الصليبيّة في الشَّرق من خلال دلائل الأحداث التاريخية.

الخاتمة: ضمت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

المبحث الأول: تحالف الإمارات الصليبيّة اللاتينية مع بعضها في المشرق الإسلاميّ

لقد كان قدوم الأمراء الصليبيّين من أوروبا- وهم مدفوعون برغبة كبيرة في الحصول على إقطاعيات جديدة بسبب حرمان قسْم كبيرٍ منهم من هذه الاقطاعات أو خسارته لها في أوروبا - من الأسبابِ الرئيسة التي أسهمت في خلْق حالة الانفراد التي كانت عليها كل إمارةٍ من الإمارات الصليبيّة في الشَّرق حيث لم تكن الروابط بين هذه الإمارات متماسكة إلّا بهدف تحقيق مصلحةٍ مّا، فكانت هذه الإمارات نسخة طبق الأصل من مثيلاتها في الغرب الأوروبي، ولم يختلف وضْعها عن وضْع الإمارات الأوروبية إلّا من ناحية وجود التهديد الإسلاميّ الذي كانت تهبُّ رياحه بين عشيةٍ وضُحاها، وهو الأمر الذي جعل الأمراء الصليبيّين يتناسون خلافاتهم الصُغرى، ويتوحدون مع بعضهم بعضًا؛ للوقوف ضد أيِّ عدو يهدد وجودهم.

وأولى هذه التحالُفات كان عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٨م عندما تحالف الصليبيّون من أنطاكية بقيادة غودفري Godefroi (١٠٦٠-

١١٠٠م) مع بلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) في الرها ومع أمير إعزاز التركي - كان تابعا للصليبيين - للوقوف في وجه الأمير رضوان الذي حاصر إعزاز، وأدى هذا التحالُف إلى انسحاب رضوان وخضوع إعزاز لسيطرة الصليبيّين ونفوذهم (البرت، ٢٠٠٧: ١١٠- ١١٢).

كما انسحب الجيش المصري الذي قدم لإخضاع المدن الصليبيّة على الساحل الشامي عام ٤٩٣هـ/ ١١٠١م بسبب تحالُفات المدن الصليبيّة ضده بقيادة الملك بلدوين الأول وهي القدس وطبريا وحيفا وقيسارية (فوشيه، ١٩٩٠: ١١٦).

وكان التحالُف الصليبيّ نقمةً على الصليبيّين عام ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م بسبب رغبة الأمراء الصليبيّين في السيطرة على الإمارات الجديدة والاحتفاظ بها، حيث كادت نتيجة تحالف الصليبيّين من الرها وأنطاكية أن تؤدِّي إلى الاستيلاء على مدينة حران المُحاصرة من قبل الصليبيّين، تلك التي أراد أهلها أن يسلموها لهم لولا اختلاف قادتهم وهم بوهيمند الأول Bohemond I (١٠٥٠- ١١١١) وبلدوين الثاني Bldwn II (١٠٦٠- ١١٣١م) على زعامتها حيث كان هذا التأخير من مصلحة المدد التركي الذي قدم لها بقيادة سقمان حاكم ماردين وجكرمش حاكم الموصل حيث أغلقت أبواب المدينة وحدثت معركة بين الصليبيّين والأتراك، أفضت إلى أسْر بلدوين الثاني وجوسلين (فوشيه، ١٩٩٠: ١٣٢؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٤٧- ٢٤٩؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٧٢- ٧٤).

واستفاد الصليبيّون من أخطائهم السابقة في إبرام التحالُفات عندما حاول القائد التركي جكرمش استعادة الرها عام ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م حيث تحالف الصليبيّون من القدس وأنطاكية وتل باشر ضده، ودارت معركة أفضت إلى خسارة الأتراك ونجح الصليبيّون في الحفاظ على الرها (البرت، ٢٠٠٧: ٢٤١).

وهذه النتيجة هي نفس نتيجة محاولة الأمير التركي مودود باستعادة الرها في عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م حيث دارت معركة بينه وبين التحالُف الصليبيّ من القدس وأنطاكية وطرابلس بقيادة بلدوين الأول حيث لم تحقق حملة مودود شيئاً أمام التحالُف الصليبيّ (تاريخ الرهاوي، ١٩٨٦: ٩٤).

وأدرك الأتراك أن قوة الصليبيّين في اتحادهم مع المدن الكبيرة وخاصةً أنطاكية فحشد الأمير رضوان التركي قواته التي بلغ عددها ستين ألف مقاتل عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م؛ من أجل الاستيلاء على أنطاكية التي يحكمها تنكريد Tancred حيث تحالف الصليبيّون من أنطاكية والرها ومرعش وقاتلوا الأتراك وهزموهم بالقرب من نهر العاص (البرت، ٢٠٠٧: ٢٤٦- ٢٤٨).

وقد تفاجأت القوى الفاطمية بتحالف الإمارات الصليبيّة من القدس وحيفا وطبريا بقيادة بلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) ملك مملكة بيت المقدس عندما أرسلت أسطول بحري مصري عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م لضرب المدن الصليبيّة الواقعة على الساحل الشامي حيث خسر أسطول الجيش المصري معاركه ضد التحالُف الصليبيّ (البرت، ٢٠٠٧: ٢٤٧- ٢٤٩).

واستخدمت القوى الصليبيّة تحالُفاتها لتهديد المدن الإسلاميّة وإضعافها من خلال رسائل التهديد التي تُشعرها بها، ففي عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م كانت مدينة عسقلان المصرية تنفذ غارات إزعاجية على الإمارات الصليبيّة حيث تحالف الصليبيّون من القدس وطبريا، وشكلوا قوة عسكرية لحصار مدينة عسقلان، وضيقوا عليها ثم انتهى الحصار دون قتال بين الطرفين (البرت، ٢٠٠٧: ٢٥٨، ٢٥٩)، ولكن المصريين في عسقلان كانوا قد أدركوا إمكانية التعاون والتحالُف السريع الذي ينشأ بين الإمارات الصليبيّة.

ولم تحقِّق التحالُفات العسكرية نتائج إذا غاب عنها الإمكانيات الجيدة وحسن التخطيط ففي عام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م تحالف تنكريد Tancred حاكم أنطاكية مع الملك بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس لمنع المسلمين من إضعاف الرها ومحاولة السيطرة عليها ونهب محيطها حيث تواجدت القوى العسكرية الصليبيّة بالقرب من الرها، وجالت محيطها وعند عودتها لم تتوفر لديها قوارب كافية لعبور نهر الفرات فتعرض قسم كبير منها إلى التدمير من قبل القوى الإسلاميّة التركية (وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٢٧٢- ٢٧٣)

واستخدم الملك بلدوين الأول التحالُف بين الإمارات الصليبيّة في صد أي هجوم من القوى الإسلاميّة على الإمارات الصليبيّة ففي عام ٥٠٣هـ/ ١١١٠م، وأوقف الملك بلدوين هجمات المصريين من عسقلان من خلال التحالُف الذي أقامه بين القدس ويافا وحيفا وقيسارية (البرت، ٢٠٠٧: ٢٩٠).

وأثمر تحالف مملكة بيت المقدس وإمارة طرابلس بقيادة الملك بلدوين الأول عام ٥٠٤هـ/ ١١١١م إلى استيلاء الصليبيّين على تل باشر في الجزيرة الفراتية، وذلك بعد التضيق عليها من خلال حصارها فترة طويلة (فوشيه، ١٩٩٠: ١٤٨).

وهُزم الملك بلدوين الأول عندما قاتل مودود وطغتكين في سهل طبريا عام ٥٠٦هـ/ ١١١٣م؛ لعدم انتظاره التحالُف الذي أطلقته مدن أنطاكية وطرابلس والرها حيث وصلت إمدادات هذه المدن بعد نهاية المعركة (ألبرت، ٢٠٠٧: ٣٠٢- ٣٠٣؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٠٠- ٣٠١).

وتحرك ما تبقى من جيوش برسق بن برسق السلجوقي بعد خسارته في معركة تل دانيث إلى منطقة الروج؛ من أجل السيطرة عليها وتحقيق أي نصر يرفع من معنوية الجيش عام ٥٠٨هـ/ ١١١٥م حيث تصدت له القوى الصليبيّة المتحالفة من إمارتي أنطاكية والرها ودارت معركةٌ بين الطرفين انتهت بانسحاب جيوش برسق دون تحقيق نتيجة تذكر (وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣١٤- ٣١٥).

ولم تتوقف هجمات المصريين المتواجدين في عسقلان على الإمارات الصليبيّة الأمر الذي تطلب تحالف القوى الصليبيّة عام ٥١١هـ/ ١١١٨م من القدس وطرابلس وأنطاكية حيث تلاقى الطرفان بالقرب من عسقلان وانسحبت كل القوى فيما بعد دون حدوث قتال (فوشيه، ١٩٩٠: ١٨٥).

وقد كانت هذه المرة الأولى التي تشـــاركت فيها قوى صليبية من الإمارات الصليبيّة الشمالية، وهي أنطاكية في تحالف لصد القوى الإســـلاميّة المؤثرة على الإمارات الصليبيّة الساحلية حيث هدفت جميع التحالُفات الســـابقة بين الإمارات الصليبيّة على الســـاحل السوري والإمارات الصليبيّة الشمالية إلى الوقوف ضد قوى تهدد الإمارات الشمالية، وجاء هذا المدد من أنطاكية بفِعْل علاقة حاكمها روجر دي ســـاليرنو الوصي على عرش بوهمند الثاني مع بلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) حيـــث توطدت هذه العلاقة بعد النصر الذي حققه الصليبيّون وحلفاؤهم المســـلمون على جيوش برســـق بن برسق في معركة تل دانيث قبل ذلك بثلاث سنوات، كما كان التدخـــل المباشر من قبل الملك بلدوين الأول في أمن وســـلامة الإمارات الصليبيّة الشمالية نابعًا من كونه ملكًا لجميع الصليبيّين ولكونه يمتلك حقوقًا في إمارة الرها التي أسســـها بلدوين نفسه، تلك التي كانت أول إمارة صليبية في الشَّرق.

وعندما قدم الأمير إيلغازي بجيوشـــه مـــن الموصل بهدف حصار أنطاكية والســـيطرة عليهـــا قام الصليبيّون بإنشـــاء تحالف من القدس والرهـــا وأنطاكية بقيادة الملك بلدويـــن الثاني Bldwn II (١٠٦٠- ١١٣١م) عام ٥١٢هـ ١١١٩م حيث منع هذا التحالُف الأمير إيلغازي من السيطرة على أنطاكية، على الرغم من أن هذا التحالُف قد أفضى إلى قتل روجر دي ســـاليرنو حاكم أنطاكية والوصي على عرش بوهيمند الثاني. (وليم الصـــوري، ١٩٩١: ٢/ ٣٤٨؛ تاريخ الرهاوي، ١٩٨٦: ١٠٤؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٨٠- ١٨٢).

وعندمـــا أُسِرَ الملك بلدوين الثاني من قبل الأمير بلك التركي حاول الصليبيّون قَتال بلك واسترجاع الملك حيث شكل الصليبيّون تحالفاً، ضم القدس وطرابلـــس وأنطاكية عام ٥١٦هـ/ ١١٢٣م، وتقدمت قواتهـــم حتى أعالي الفرات، وجمعـــت بعض الغنائم ثم عادت من حيث أتت (فوشـــيه، ١٩٩٠: ٢٠٤- ٢٠٥)، فقـــد كان ينقص هذا التحالُـــف التنظيم والتخطيط الجيد الذي يصدر من قيادة مركزية لها ســـيطرة جيدة على جميع الجيوش التي لم يكن هدفها جميعاً إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني.

وقد ظلت هجمات الأتراك على الشـــمال السوري مستمرة في فترة حكم الملك بلدوين الثاني لمملكة بيت المقدس؛ وذلك بدافع محاولة التوسع في حدود الإمارات الإسلاميّة باتجاه مناطق سوريا وأعالي الفرات حيث شكل الصليبيّون من القدس وأنطاكية والرها تحالفًا لصد هجمات الأمير برســـق على الحصون والقـــلاع الصليبيّة في الشـــمال الســـوري عام ٥١٧هـ/ ١١٢٤م وكانت النتيجة أن خسر برسق المعركة؛ وانســـحب بقواته (فوشـــيه، ١٩٩٠: ٢٢٤؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٤٦- ٤٨).

واســـتولى الصليبيّـــون على حصن الرفانية عـــام ٥١٩هـ/ ١١٢٦م بفِعل تحالف القدس وطرابلس مع بعضهما حيث ســـلمه سكانه بعـــد حصاره (فوشـــيه، ١٩٩٠: ٢٣٤- ٢٣٥)، وقد كانت تحركات الصليبيّين في تلك الفترة نشطة من حيث التحالُفات؛ لأنهم أدركوا أن نجاحهم في إضعاف نفوذ البرســـقي حاكـــم الموصل وحلب في المنطقة يعتمد بالدرجة الأولى على تحالف الإمارات الصليبيّة.

واستمر البرسقي صاحب حلب والموصل في إرسال القوات إلى شمال الشام كردٍّ فعْلٍ لمحاولة الصليبيّين الاستيلاء على حلب عام ٥١٨هـ/ ١١٢٥م حيـــثُ قام عام ٥١٩هـ/ ١١٢٦م بالتوجه لحرب الصليبيّين في شمال ســـوريا واســـتولى على حصن كفرطاب وحاصر حصن زردنـــا، وهو الأمر الذي جعل بلدويـــن الثاني Bldwn II (١٠٦٠- ١١٣١م) وأمراء أنطاكية والرهـــا وطرابلس يعقدون تحالفاً من أجل قتاله عند إعزاز حيث اســـتولى الصليبيّون على غنائم ضخمة من هذه المعركة، واستطاعوا وقْف تمدُّد قوات البرسقي (فوشيه، ١٩٩٠: ٢٢٤؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٤٦- ٤٨؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٠٤).

وكانـــت نتيجة أسْر ريمونـــد الثاني من قبل عمـــاد الدين زنكي وحصاره لقلعة مونتفرات (قريـــن) عام ٥٣٤هـ/ ١١٤٠م أن قام الصليبيّون من القدس وأنطاكية والرها وطرابلس بتحالف انتهى باســـتعادة ريموند الثاني من الأسْر، ولكنـــه لم يمنع عماد الدين زنكي من الســـيطرة على قلعة مونتفراد (وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ١٣٧- ١٤٤).

وبعـــد ذلك توجّه عمـــاد الدين زنكي لحصـــار الرها عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م؛ لعلمه بخروج حاكمها جوسلين الثاني منها لشنِّ غارات في أعـــالي الفرات حيث مكث جوســـلين ينتظر جيـــوش التحالُف الصليبيّ التي شكلتها الملكة ميلســـند الوصية على عرش بلدوين الثالـــث Bldwn III (١١٣٠- ١١٦٣م) من القدس ونابلس والجليل بقيادة زوجها مناس الكونســـتابل حيث وصلت الجيوش متأخرة بعد أن ســـيطر عماد الدين زنكي على الرها (رنسمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٧٣).

وعندما مات عماد الدين زنكي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م قام جوسلين الثاني بتشـــكيل تحالف من الصليبيّين من مدن مرعش وتل باشر وكيسوم؛ من أجل الاستيلاء على الرها حيث لم يحقق هذا التحالُف الضعيف أيَّة نتيجة (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٧٧).

وبعد تولِّي نور الدين زنكي الحكم عقب والده اســـتعاد الســـيطرة على دمشق عام ٥٤٥هـ/ ١١٥١م ثم جهز جيوشه لإعادة السيطرة على بانياس التي اســـتولى عليها الصليبيّون بمساعده معين الدين أنر عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م، فأرســـل الجيش لحصارها عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م، فقام الصليبيّون من القـــدس بقيادة الملك بلدوين الثالث Bldwn III (١١٣٠- ١١٦٣م) بالتحالُـــف مع بانياس وقتال قوات نـــور الدين زنكي، ممَّا اضطر الأخير إلى الانســـحاب إلى دمشـــق (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٣٩٤).

ثم أعاد نور الدين زنكـــي حصار بانياس في عام ٥٥١هـ/ ١١٥٧م، فشكل الصليبيّون تحالفاً جمع القدس وأنطاكية وطرابلس، ولكنَّ هذا التحالُف لم يستطع منْع نور الدين من استرداد مدينة بانياس بســـبب حالة الشـــقاق التي بُني عليها التحالُـــف الصليبيّ (وليم الصـــوري،١٩٩١: ٣/ ٤١٤)، الذي تزعمـــه رجل من أقارب مياس الكونستابل زوج الملكة ميلســـند واسمه جي الاسكندروني حيث عزّز وجـــود هذا القائد رغبة الأمـــراء الصليبيّين في الحصول على

منافع شـــخصية أكثر من رغبتهم في المحافظة على مدينة بانياس (وليم الصوري،١٩٩١: ٣/ ٤١٥).

وقـــد تم تخليص الأمير ريموند الثانـــي حاكم طرابلس الذي كان مأســـوراً لدى نور الدين زنكي منذ معركة نور الدين مع الصليبيّن عند حصن حارم مـــن خلال دفع فديته عام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م التي اشـــترك بها تحالف الصليبيّين من القـــدس وطرابلس والمنظمات الدينية حيث بلغت قدرها خمســـون ألف دينار ذهبي (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٥١).

وحصل الصليبيّون على غنائم كبيرة من خلال تشـــكيلهم لتحالف عـــام ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م والـــذي جمع القـــدس وطرابلس وطبريا واســـتمر هذا التحالُف حتى عام ٥٧٧هـ/ ١١٨٢م حيث أغاروا على أرياف المدن الشامية، ووسعوا فيما بعد عملياتهم التي أدت إلى منْع صلاح الدين الأيوبي من السيطرة على منطقة الجليل (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٧٧، ٤٨٩).

وما يميز نجاح تحالُفات الإمارات الصليبيّة فيما بينها هو وجود قيادة موحدة لها، تمثلت في الملـــك بلدون الأول بالدرجة الأولى ثم الملك بلدوين الثاني، أمّا عوامل فشـــل بعض هذه التحالُفات فهي تعتمد على عدم الرضا بالقيادة التي تقود التحالُف خاصةً في فترة أسْر الملك بلدويـــن الثاني الأولى والثانية بالإضافة إلى تقديم بعض الأمـــراء الصليبيّين مصالحَهم الشـــخصية على حســـاب مصلحة الصليبيّين ككل، فســـبَّب ذلك كثيرًا من المشـــاحنات بين الصليبيّن، وأشهرها صراع جوسلين وتنكريد في الإمارات الشمالية.

المبحـــث الثاني: التحالُفـــات الصليبيّـــة اللاتينية مع القوى الأرثوذكسية في الشَّرق الإسلاميّ.

لقـــد ظلت القوى الصليبيّة اللاتين في الشَّرق الإســـلاميّ تســـتغل العاطفة الدينية عند المسيحيين الأرثوذكس من الأرمن والسريان عـــلى الرغم من الخلاف المذهبيّ معهـــم بحجة أن عليهم مناصرة أقرانهم من المســـيحيين اللاتين بدلاً من المسلمين، إلّا أن الصليبيّين لم يتعاملوا مع البيزنطيين بنفس معاملتهم مع الأرمن والسريان؛ وذلك راجع إلى كون البيزنطيين يشكلون قوة كبيرة، ولهم ادعاءات في ملكية الإمارات الصليبيّة الشـــمالية، فالتحالُف معهم قد يعني خسارة بعض الإمارات الصليبيّة الشمالية.

أضف إلى ذلـــك أن الصليبيّين اللاتين كانوا ينظروا إلى المســـيحيين الأرثوذكس على أنهم هراطقة بســـبب الخلل الذي في عقيدتهم من وجهـــة نظر الصليبيّين اللاتين، فعندمـــا يكونون بحاجة لهم يتم استعطافهم باســـم المســـيحية التي ينتمون لها، بينما يسفكون دماءهم ويســـتولون على ممتلكاتهم في حال شـــعروا بثرائهم أو لعدم الحاجة لهم وخاصةً الأرمن الذين تجرعوا المرار في ظل حكم الصليبيّـــين لمدنهم (تاريخ المورة، ١٩٩٥: ٣٨٥، ٣٨؛ متى الرهاوي، ٢٠٠٩: ٦٩- ١٥٤؛ الرويضي، ٢٠٠٢: ٨٨- ٢٥٥).

وأدرك الصليبيّـــون اللاتين هذا منذ بلـــوغ جيوش الحملة الصليبيّة الأولى القســـطنطينية عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، فعلى الرغم من عمليات النهب والسلب التي ارتكبها جيش الأمير هيو وغودفري Godefroi (١٠٦٠- ١١٠٠م) في المنطقة البيزنطية ابتداءً من مدينة فيليبوبولس وحتى القسطنطينية (توديبود، ١٩٩٨: ٧٥؛ أعمال الفرنجة، ١٩٥٨: ٢٤؛ ويندوفـــر، ٢٠٠٠: ٢٦؛ يوســـف، ١٩٨١: ١٥٢- ١٦٤)، وجيش بوهيمند الأول Bohemond I (١٠٥٠- ١١١١) وجيش ستيفن أف بلـــو Stevin of blu وروبرت فون فلانـــدرز Robert Von Flan-ders II (١٠٦٥- ١١١١م)، إلّا أن الإمبراطـــور الكســـوس Alexus Kominin (١٠٤٨- ١١١٨م) غفر لهم ذلك مقابل حلف يمين الولاء الذي يؤكد تبعية الحملة الصليبيّة وما ستحوزه من المدن - خاصة المدن الشامية الشمالية التي كانت فيما مضى تحت سيطرة بيزنطة - للإمبراطور البيزنطي.

وعندما تردد بعض الأمراء في حلف يمين الولاء سحب الإمبراطور البيزنطي السوق الذي كان متوفرا لهم أمام القسطنطينية، وهو الأمر الذي ســـبب اشـــتباكات بين الجنود الصليبيّين والبيزنطيين (توديبـــود، ١٩٩٨: ٧٥- ٧٦؛ الألكســـاد، ٢٠٠٤: ٤٠٢؛ ويندوفـــر، ٢٠٠٠: ٢٧؛ عوض، ٢٠٠٠: ٧٥؛ البطاوي، ٢٠٠٨: ٨٦).

وقد حصـــل الإمبراطـــور البيزنطي على يمين الـــولاء من جميع الأمـــراء باســـتثناء ريمونـــد صانجيـــل Raymond Toulouse (١٠٤٥- ١١٠٥م) الـــذي توصـــل معـــه إلى تفاهـــم خاص، حيث رأى بعـــض الفرســـان في هذا القســـم خيانة وإهانـــة بينما رأى القادة ومستشـــاروهم طريقاً لتحقيق التمويل المناســـب لهم من إمبراطورية لديها الموارد الضرورية لمثل هذه الحرب (رنســـيمان، ١٩٩٤: ١/ ١٧٧)؛ ولذلـــك نلاحـــظ أن التحالُفـــات التـــي عقدها الملوك والأمراء الصليبيّون أثنـــاء وجودهم في الشَّرق بعد ذلك مع الإمبراطورية البيزنطية كانت قليلة لخوفهم من اســـتيلاء قوات الإمبراطور عـــلى إماراتهم خاصة، وأن الأمـــراء الأوائل كانوا قد اقســـموا على الولاء للإمبراطور البيزنطي، وهو القسم الذي كان الأباطرة يذكِّرون الصليبيّين به كلما تقاربت العلاقات فيما بينهم.

وظهـــرت أولى التحالُفات الصليبيّة البيزنطية منذ نقْل الأســـطول البيزنطـــي للقـــوات الصليبيّة القادمة من أوروبا عبر البســـفور عـــام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م وبرفقتهم فصيلة بيزنطية من المهندســـين المختصين المرافقـــين لآلات الحصار من أجل المســـاعدة في حصار مدينة نيقية (الالكســـاد، ٢٠٠٤: ٤٠٣؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ١/ ١٦٨)

وحاصر الأمير مودود الرها عام ٥٠٣هـ/ ١١١٠م لمدة شهر، وكاد يســـتولي عليها لولا النجدة التي قادهـــا ملك القدس بلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) والتي جمعت فرسانًا من جميع مدن مملكة بيت المقدس، بالإضافة إلى الأرمن (تاريخ الرهاوي، ١٩٨٦: ١٦٦- ١٦٧؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٤٧)، الذين كانوا بمثابة معين لا ينضب من الفرسان، والتمويل بالنسبة لبلدوين الأول والثاني.

وبسبب الضَعْف الذي بثه عماد الدين زنكي في نفوس الصليبيّين لما حققه من انتصارات تحالف الصليبيين في الرها وأنطاكية والقدس مـــع الإمبراطورية البيزنطية عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م حيث حقق هذا التحالُف اســـتعادة ســـيطرة الصليبيّين على مدينة أخلاط وشيزر

وحصن البزاعة وحصن الأثـــارب وحصن كفر طاب (أبو المظفر، ٢٠١٠: ٢؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٥٠: ٢٥١).

وبقي لدى نور الدين زنكي مجموعة من الأسرى الصليبيّين الذي أسرهم في معاركه، حيث أطلقهم عـــام ٥٥٠هـ/ ١١٥٦م بناء على طلـــب الإمبراطور البيزنطي إمانويـــل الأول Emanul I الذي كان يقـــود تحالفًا كبيرًا مكونًا مـــن البيزنطيين والصليبيّين في القدس وأنطاكيـــة وما حولهـــا، بالإضافة إلى الأرمـــن والصربيين؛ وذلك حتـــى لا يدخل نور الديـــن في حرب مع هذه القـــوة الكبيرة (ابن القلانسي،١٩٨٣: ٥٤٤- ٥٤٦؛ كيناموس، ١٩٩٧: ١٩٥).

وعندمـــا علم نـــور الدين زنكي بحصار الفرمـــا المصرية من قبل ملك مملكة بيت المقدس عموري Amaury (١١٣٦- ١١٧٤م)عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م توجـــه لحصار قلعة الكرك من أجل إجبار القوى الصليبيّة على الانسحاب من مصر حيث قام الصليبيّون في الإمارات الشـــمالية وهي أنطاكية وطرابلس بعقد تحالف مع الامبراطور البيزنطي الإمبراطور إمانويل الأول Emanul I (١١١٨- ١١٨٠م) الذي أرسل جنوده بقيادة قسطنطين كولومان والتي توحدت مع جيوش الصليبيّين بقيادة بوهمند الثالث حاكم أنطاكية، وهاجمت جنود نـــور الدين زنكي بالقرب من الكرك، وهو ما اضطر الأخير إلى الانسحاب إلى حمص (الفتري، ١٩٩٨: ٦؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٢٥).

وقـــد ســـببت التحالُفات في كثير مـــن الأحيان في ضيـــاع القيادة الصليبيّة بسبب عدم وحدتها، ففي عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م تحالفت بيزنطة وأنطاكية وطرابلـــس والأرمن ضد نور الدين زنكي الذي كان يحاصر حصـــن حارم، وبعد أن اقـــترب المتحالفون من نور الدين انسحب الأخير حيث اندفع الصليبيّون خلفه من دون أوامر من قادتهم؛ للبحث عن الغنائم، وهـــو الأمر الذي أدَّى إلى التفاف جيش نور الدين وأسْر قادة الصليبيّين (وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٣١).

وقد تحطمت أحلام الملك الصليبيّ عموري بالاســـتيلاء على مصر عندما شـــكل تحالفاً مع الإمبراطورية البيزنطية التي أرسلت له مائة وخمسين سفينة محملة بالجنود بالإضافة إلى ستين سفينة أخرى محملة بالمعدات عـــام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م حيث اندمجت هذه القـــوات مع القـــوات الصليبيّـــة وبقيت محـــاصرة لدمياط مدة خمســـين يوماً، ولكن دون جدوى، بسبب الإمدادات التي أرسلها صـــلاح الدين الأيوبي لدمياط من القاهـــرة، وانتهى التحالُف بأنْ أحرق الصليبيّون والبيزنطيون معدات الحصار حتى لا يســـتفيد منها المســـلمون، ورجعوا إلى عكا (وليم الصوري، ١٩٩١: ٤/ ٧٠؛ كينامـــوس، ١٩٩٧: ٢٦٤- ٢٦٦؛ عمـــران، ١٩٨٥: ٧٠- ٧٢)، وهذا الانسحاب راجع إلى تخوُّف الملك عموري من بقاء القوات البيزنطية في بلاد الشام ورغبته في أن تعود من حيث أتت حفاظاً على الإمارات الصليبيّة من خطر وقوعهـــا بيد الإمبراطورية البيزنطية التي ما إن تســـتولي على موطئ قدم لها في بلاد الشام حتى تبدأ بالتوسع في كل الاتجاهات.

وقبل موت الملك عموريAmaury (١١٣٦- ١١٧٤م) أبرم تحالفاً مـــع الملك القبرصي وليم الثاني؛ من أجل غزو مصر حيث رســـت السفن القبرصية أمام الإسكندرية، تلك السفن المكونة من مائتين وأربع وثمانين ســـفينة، ولم يكن الملك وليم على علم بموت الملك عموري إلا عندما وصل إلى ميناء الإسكندرية عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، وبســـبب وصول خبر قُـــرْب قوات صلاح الدين من الإســـكندرية انســـحبت قوات الملك وليـــم دون تحقيق أي نتيجة (رنســـيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٦١)، ويبـــدو أن الملـــك عمـــوري كان يرى أن وجود القوات القبرصية بالقرب من القوات الصليبيّة يحقِّق انجازاً جيداً للصليبيـــين الذي اعتادوا على القبرصين وجنودهم منذ قدومهم في الحملات الصليبيّة من أوروبا ومرورهم بجزيرة قبرص التي تعتبر نقطة الاستراحة والاسترخاء الاخيرة للقوات الصليبيّة الأوروبية قبـــل دخولها في أرض المعركة في المشرق الإســـلاميّ، بالإضافة إلى أن الملـــوك القبارصة لم تكن لهم غايـــة أو هدف من التحالُف مع الصليبيّين ســـوى الحصول على المكتســـبات المادية وإيجاد حليف قوي في المنطقة يستطيع أن يقف في وجه الإمبراطورية البيزنطية التي تدعي دوما بوجود حقوق لها في جزيرة قبرص، التي تقف في وجه الملوك القبارصة الطامعين في العرش القبرصي.

المبحث الثالث: التحالُفات الصليبيّة مع القوى الإســـلاميّة في المشرق الإسلاميّ.

لقد اســـتعان حـــكام الإمـــارات الصليبيّة بالقوى الإســـلاميّة في التخلص من أعدائهم الصليبيّين خاصةً الطامعين في الاستيلاء على الإمارات الصليبيّة أو استخدامهم في الحصول على مكتسبات مالية وحصون ومدن جديدة مستفيدةً من حالة الانقسام الموجودة بين المدن الإسلاميّة.

فقد تسابق بعض أمراء المدن الإسلاميّة خاصةً قبل ظهور القوى الزنكيـــة المتمثلة بعماد الدين زنكي وابنه نـــور الدين محمود إلى إبرام الاتفاقيات والتحالُفات مع الصليبيّين بهدف حماية الكيانات الصليبيّة المتحالفة معها من جهة واستغلالها أيضاً في إنشاء حاجز حماية لنفســـها من القوى الإسلاميّة الأُخَر، كتحالف دمشق مع صليبي مملكة بيت المقـــدس وتحالف حلب مع صليبي أنطاكية (وشاح، ٢٠١٩:، ٤).

ولم تحقق تحالُفات القوى الإسلاميّة قبل ظهور القيادة الإسلاميّة الموحـــدة المتمثلة بالزنكيين شـــيئًا كثيرًا أمـــام الصليبيّين، وكان مـــن أنجحها تحالف جكرمش مع معين الدولة ســـقمان بن أرتق عام ٤٩٧هـ/ ١١٠٤م ضد صليبيـــي الرها حيث نجح في هزيمتهم (وشاح، ٢٠١٩، ٥).

كما حققت بعض هذه التحالُفـــات نتائج جيدة للصليبيين، وكان منها تحالف الصليبيّـــين المُحاصرين في الرها عام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م مـــن قِبل تنكريـــد Tancred حاكـــم أنطاكيـــة بالأمير جكرمش والصليبيّين من تل باشر حيث نجـــح هذا التحالُف في فك الحصار الذي فرضة تنكريد ثم هروبـــه إلى أنطاكية (البرت، ٢٠٠٧: ٢٦٩؛ ابن العديم، ١٩٩٦: ٢٥١).

واختلفت الأطراف الصليبيّة في الشمال السوري على تقسيم المدن والحصون فيما بينهم عام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م حيث تجمعت الجيوش الصليبيّة من كيسوم وتل باشر ومسلمي الفرات بقيادة جاولي وبلدوين الثاني Bldwn II (١٠٦٠- ١١٣١م) ضد تحالف تنكريد Tancred من أنطاكية ورضوان من حلب، وكانت النتيجة هزيمة حلف بلدوين الثاني الذي لم يستطع استعادة إمارة الرها إلا من خلال التصالح الذي نفذه الملك بلدوين الأول بين تنكريد وبلدوين الثاني، والذي بموجبه استعاد بلدوين الثاني سيطرته على الرها التي كان يحكمها رتشارد بتوكيل من تنكريد، وذلك أثناء أسْر بلدوين الثاني (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٤٤- ١٤٦).

وأدرك تنكريد Tancred ضرورة إيجاد حليف من القوى الإسلاميّة حيث تحالف في عام ٥٠٣هـ/ ١١١٠م مع قوة تركية أرسلها السلطان مسعود بن محمد السلجوقي من الموصل من أجل السيطرة على الرها التي يحكمها بلدوين الثاني حيث انتهى هذا التحالُف دون نتائج تذكر بسبب عقد الملك بلدوين الأول Bld-wn I (١٠٥٨- ١١١٨م) الصلح بين الأمراء الصليبيّين في الإمارات الصليبيّة الشمالية (البرت، ٢٠٠٧: ٢٩٠).

ونجح تحالف القوى الصليبيّة في شمال الشام مع بعض المدن الإسلاميّة عام ٥٠٨هـ/ ١١١٥م في صد هجوم القائد التركي حاكم همذان برسق بن برسق الذي أرسله السلطان السلجوقي محمد بن مسعود لفرض سيطرته على دمشق وما حولها حيث كان برفقة برسق أيضاً أمير الموصل السابق جيوش بيك والأمير تيمرك أمير سنجر، فقام حاكم دمشق طغتكين وعقد تحالف مع إيليغازي أمير ماردين ومع القوة الصليبيّة من القدس وأنطاكية وطرابلس والرها حيث دارت معركة تل دانيث بين التحالُف الصليبيّ الإسلاميّ من جهه وجيوش برسق من جهه أخرى وانتهت بخسارة جيوش برسق للمعركة وانسحابها (فوشيه، ١٩٩٠: ١٥٥- ١٥٧؛ وليم الصوري، ١٩٩١: ٢/ ٣١٠؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ١٦١- ١٦٣)، وكان نصيب الصليبيّين غنائم كثير بالإضافة إلى تخلصهم من شخصية برسق بن برسق الذي كان سيوحد المدن الشامية ويجعلها تقف في وجه الصليبيّين من خلال حكمها بتفويض من السلطان السلجوقي محمد بن مسعود.

وكان نصيب التحالُف الصليبيّ الإسلاميّ الذي ضم القدس وأنطاكية وطرابلس مع دمشق بقيادة طغتكين إلى النجاح عام ٥٠٨هـ/ ١١١٥م حيث تم صد القوى السلجوقية بقيادة آقسنقر ورضوان، تلك القوى التي قدمت من أجل السيطرة على دمشق (البرت، ٢٠٠٧: ٣٠٩، ٣١٠).

واستغل الصليبيّون انضمام الأمير دبيس أمير الحلة إلى تحالف القدس والرها وأنطاكية عام ٥١٨هـ/ ١١٢٥م حيث توجهوا إلى حصار حلب من أجل السيطرة عليها وتقليل نفوذ الأتراك المنقسمين على حكمها، فقد تركها الأمير رضوان بعد وفاته لابنه سلطان شاة الذي فرَّ من سجنه عند الأراتقة وحاول الانضمام لحلف دبيس والصليبيّين من أجل السيطرة عليها مستغلاً انشغال الأمير تمرتاش بن إيلغازي الذي كان ينتظر موت أخيه المريض سليمان حاكم ميفارقين لكي يستولي عليها، حيث كانت نتيجة هذا التحالُف أن انسحبت القوات الصليبيّة المُحاصرة لحلب مع استيلائها على بعض الغنائم وذلك بفِعل قوة أهلها وثباتهم وبسبب سماع الصليبيّين بقدوم التحالُف الذي يقوده آقسنقر البرسقي أمير الموصل وحلفاؤه وهم طغتكين أمير دمشق وخيرخان أمير حمص (تاريخ الرهاوي، ١٩٨٦: ١٢١؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٠٣، ٢٠٤).

وكان من نتائج تحالف جوسلين أمير الرها مع مجموعات من الجيوش المرتزقة التركية أن قام بعدة غارات على أراضي بوهيمند الثاني في أنطاكية عام ٥١٩هـ/ ١١٢٦م حيث استولى منها على غنائم كثيرة (وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ٥٩، ٦٠؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢١١)، وكان من نتائج هذه الغارات أنْ تنبه الملك بلدوين الثاني Bldwn II (١٠٦٠- ١١٣١م) لحالة الشقاق التي كانت بين ابن أخته جوسلين ونسيبه بوهمند الثاني زوج ابنته أليس حيث تمكن الملك بلدوين الثاني فيما بعد بالإصلاح بينهما وتوحيد الصف الصليبيّ في الشمال السوري.

وقد فشلت التحالُفات الصليبيّة في كثير من الأحيان إذ لم تكن معدة بشكل ممتاز، ففي عام ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م قام عماد الدين زنكي بحصار حمص التي استغاثت بالصليبيّين حيث حضر لإنقاذها ملك القدس وأمير طرابلس والرها وأسفرت المعركة عن خسائر كبيرة للصليبيين كان على رأسها قتل أمير طرابلس ريموند الثاني (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٣٥).

وقد بذل الصليبيّون من الرها وأنطاكية والقدس جهودًا كبيرة من أجل منْع عماد الدين زنكي من السيطرة على دمشق عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م، وذلك من خلال عقدهم تحالفًا بقيادة ملك مملكة بيت المقدس (فولك) مع المتصرف بشؤون مدينة دمشق، وهو معين الدين أنر الذي يحكمها باسم الطفل مجير الدين ابن واليها السابق جمال الدين حيث رفض معين الدين أنر تسليم المدينة لعماد الدين زنكي عندما طلب منه ذلك وراسل الصليبيّين فشكلوا تحالفاً افضى إلى انسحاب جيوش عماد الدين زنكي وسيطرة الصليبيّين على بانياس التي أخذوها كمكافئة لهم من قبل معين الدين أنر(وليم الصوري، ١٩٩١: ٣/ ١٧٨، ١٧٩؛ ابن الأثير، ١٩٩٧: ٩/ ١٠٥، ١٠٦؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٢٦٥، ٢٦٦).

وبعد وفاة معين الدين أنر الذي كان يحكم دمشق وانتقال الحكم إلى واليها مجير الدين الذي كان أنر يحكم باسمه، وّجه نور الدين زنكي جيوشه لحصار دمشق عام ٥٤٥هـ/ ١١٥١م حيث قام أمراؤها بمراسلة الصليبيّن من أجل دفع نور الدين عنهم، فخرج الملك بلدوين الثالث Bldwn III (١١٣٠- ١١٦٣م) بجيوش لمناصرة حلفائه الدمشقيين، ولكن الوقت كان قد فات، فقد سيطر نور الدين كان على المدينة من خلال التفاهمات التي أبرمت مع واليها مجير الدين (وشاح، ٢٠١٩: ١٣؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨).

وكان من نتائج تحالف مملكة بيت المقدس بقيادة الملك عموري Amaury (١١٣٦- ١١٧٤م) مع مصر بقيادة الوزير ضرغام ثم

شـــاور للوقوف في وجه نور الدين زنكي وقادته شيركوه وصلاح الديـــن الأيوبي خلال الفترة من ٥٥٨-٥٦١هـ/ ١١٦٣- ١١٦٧م بأن أخذت مملكة بيت المقدس من مصر في عهد ضرغام مبلغ ســـتين ألـــف دينار (ابن الاثـــير، ١٩٩٧: ٩/ ٣٢٧؛ ابن كثـــير،١٩٨٦: ١٢/ ٢٤٧)، وفي عهد شـــاور مائة ألف دينار سنويًّا (ابن الاثير، ١٩٩٧: ابن واصل، ١٩٥٧: ١/ ١٥٨؛ أبو الفداء: ٣/ ٤٤)، كما مُنع شيركوه من الســـيطرة على مصر في تلك الفترة بفضل تحالف ملك مملكة بيت المقدس عموري مع الوزير شاور(وليم الصوري، ١٩٩١: ٤/ ٢٩؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣: ٢١/ ٤٣؛ ابن العديم، ١٩٩٦: ٣٤٥).

ولكثـــرة الضغط الـــذي أحدثه نور الدين زنكـــي على مملكة بيت المقدس حاول الملك عموري عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٩م التخلص من نور الدين زنكي من خلال التحالُف مع طائفة الحشاشين التي تميزت بالاغتيالات في تلك الفترة حيث حاولت هذه الطائفة قتْل نور الدين زنكي أكثـــر من مرة، ولكن دون جدوى (رنســـيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٥٣).

واستعان الصليبيّون بالحشاشين لقتْل صلاح الدين عندما حاصر حلب عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، وذلك بناءً على طلب حاكمها كمشتكين المتصرف بشـــؤون الصالح إسماعيل بن نورد الدين زنكي في حلب الذي اســـتعان بهـــم وبالصليبيّين لردِّ صلاح الدين حيث ســـحب صلاح الدين قواته بناءً على هذا التحالُف عن حلب فرد كمشتكين المعروف للصليبيين بأنْ أطلقْ سراح الأسرى الصليبيّين الذين كانوا في ســـجون نور الدين زنكي في حلب ومنهم رينالد أوف شاتيلون (ارناط) وجوسلين أوف كورتناي (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٦٥).

وعندمـــا توجه صلاح الدين للاســـتيلاء على حلـــب عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م اســـتنجد حكامها بالصليبيّين واعدين إياهم بإتاوةٍ قدرُها عشرة ألاف دينار ســـنوية مع التنـــازل عن بانياس وقلعة حبيس قلدك والإفراج عن كثيرٍ من أسرى الصليبيّين مقابل قيامهم بشن هجوم مضلل على دمشقَ الخاضعة لسلطة صلاح الدين، حيث لم تحقِّق هذه التحالُفات شـــيئًا أمام قوة صلاح الدين الأيوبي الذي سيطر على حلب (رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٤٩١).

واستهدف صلاح الدين الأيوبي من تحالفه مع أمير طبريا ريموند عام ٥٨١هـ/ ١١٨٦م التخلـــص من نفوذ ملك مملكة بيت المقدس جي دي لوزيان على الإمارات الصليبيّة الساحلية، وذلك من خلال دعمه لريموند بالســـلاح والمؤن (ذيل وليم الصوري، ٢٠٠٢: ٥٣، ٥٤؛ رنسيمان، ١٩٩٤: ٢/ ٥٠٨- ٥١٠).

ويلاحظ الدارس لتحالُفات الصليبيّة الإســـلاميّة أنها كانت مؤثرة ومفيدة للصليبيين في فترة انقســـام القوة الإســـلاميّة وضَعْفها خاصةً في فترة تأسيس الإمارات الصليبيّة ووجود أمراء صليبيين ذوي ســـلطة على عموم الصليبيّين، ومنهم بلدوين الأول وبلدوين الثاني، بينما أصبحت أقل تأثيراً عندما غاب عن الصليبيّين القيادة المســـيطرة، وبرزت في المقابل شـــخصيات قيادية فذّة في صفوف المســـلمين، وأبرزهم عماد الدين زنكي وابنه نـــور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي.

المبحـــث الرابع: اســـتنتاجات ودلالات نجـــاح تحالف القوة الصليبيّة.

هناك عدة استنتاجات برزت في التحالُفات الصليبيّة الناجحة حيث يكون وجـــود بعضها من الركائز الداعمة لنجـــاح التحالُف بينما يكون غياب بعضها الآخر سبباً لفشل التحالُف، ومنها:

أولاً- وحدة الهدف.

إن وجود هدف مشـــترك يجمع كل القوى المتحالفة من الأسباب الرئيســـة في نجاح أي تحالف وغيابه من الأســـباب المؤكدة لفشل التحالُـــف، فضياع حصـــار الصليبيّين لمدينة حـــران عام ٤٩٧هـ ١١٠٤م كان بســـبب كَونِ الاســـتيلاء على المدن هدفَ كل قائد من قادة الصليبيّين، وعندما تعلم الصليبيّون من هذا الخطأ استطاعوا إيقـــاف هجوم القائـــد جكرمش على الرها في العام نفســـه، كما اســـتطاعوا صد هجوم الأمير مودود على الرهـــا في عام٤٩٨هـ/ ١١٠٥م، وكذلك صد هجوم الأمير رضوان على الرها في نفس العام.

ثانياً- نبذ الخلافات وتسخير الإمكانيات.

لقد تذبذبـــت العلاقات بين الأمراء الصليبيّـــين حيث كانت تنتشر الخلافات بشـــكل كبـــير بين الأمراء الصليبيّـــين بين فترة وأخرى وذلك بسبب محاولات توسيع النفوذ التي كان يسعى لها كل أمير صليبي، وهو الأمر الذي لم يجعلهم يســـخروا كل إمكاناتهم دوماً في التحالُفـــات التي يبرمونها، وكانت الإمكانات الجيدة وحُســـن العلاقة ســـبب في نجاح العديد من التحالُفات الصليبيّة، فالخلاف الذي كان بين تنكريد وجوســـلين من أســـباب فشـــل العديد من التحالُفات الصليبيّة، بينما كان حضور جيوش روجر دي ساليرنو حاكم أنطاكية للقتال مع بلدوين الأول ضد المصريين عام ٥١١هـ/ ١١١٨م راجع إلى العلاقة الجيدة بينهما حيث منَع التحالُف المشكل بينهما المصرين في عســـقلان من الإغارة على الإمارات الصليبيّة، كما كانت ســـيطرة نور الدين زنكي على بانياس وفشل التحالُف الصليبيّ الذي وقف ضده عـــام ٥٥١هـ/ ١١٥٧م راجعًا للخلافات الكبيرة بـــين الأمراء الصليبيّين، وجاء إطلاق سراح ريموند الثاني عام ٥٦٦هـ/ ١١٧١م من الأسْر عند نور الدين زنكي بفِعْل تسخير الصليبيّين الإمكانات حيث جمعت فديته من معظم المدن الصليبيّة، كما أثمر تســـخير جميع الإمكانات للقوات المتحالفة عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م إلى أن اســـتعادة القـــوات المتحالفة حصـــون عدة كان قد سيطر عليها عماد الدين زنكي.

ثالثاً- القيادة المسيطرة.

إن وجـــود القيادة المركزية في التحالُـــف ترتكز بصورة كبيرة على وجود شـــخصية تحظى بالقبول من جميع القوات المشتركة؛ لأن غياب القيادة المسيطرة يجعل القوات في حالة تشتت، فغياب الملك بلدويـــن الثاني أثناء أسْره جعل من تحالف الصليبيّين الذين جابوا أعـــالي الفرات عام ٥١٦هـ/ ١١٢٣م انعدام الجدوى، بســـبب تفرق هذه القوات وعدم الســـيطرة عليها، وكان من أســـباب ســـيطرة عماد الدين زنكي على الرها عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م أنْ كان حاكمها جوسلين الثاني غير موجود بها، وأُسِر عدد من الأمراء الصليبيّين

عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م بسبب تدافع القوات الصليبيّة خلف جيوش نور الدين دون أوامر من قادتهم؛ للبحث عن الغنائم حيث التف نور الدين زنكي، وأُسِر قسم كبير منهم.

رابعاً- التخطيط والتوقيت الجيد.

إن غياب التخطيط والتنسيق بين الجيوش المتحالفة في ظل عدم وصول القوات في توقيتها المحدد يضيِّع الجهد المبذول، ويجعل من القوات العسكرية عديمة الفائدة، وكان على الصليبيّن تعلُّم ذلك من البيزنطيين الذي قدموا للصليبيين فصيلة من المهندسين ومجموعة من القوارب قبل مغادرة الصليبيّين القسطنطينية عام ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م؛ من أجل حصار نيقية من البر والبحر، وقد دُمِّر قسم كبير من قوات التحالُف التي كانت بقيادة بلدوين الأول وتنكريد في محيط الرها عام ٥٠١هـ/ ١١٠٨م بسبب عدم التخطيط الجيد الذي يفضي إلى توفير العدد الكافي من القوارب لنقل الجنود، بينما كان التوقيت الناجح في حصار تل باشر عام ٥٠٤هـ/ ١١١١م سبباً في الاستيلاء عليها، وكذلك هُزم الملك بلدوين الأول عام ٥٠٦هـ/ ١١١٣م أمام الأمير مودود بسبب التوقيت الخاطئ للمعركة الذي لم يسمح بدخول باقي قوات التحالُف المعركة لتأخرها، كما قتل الأمير روجر دي ساليرنو عام ٥١٢هـ/ ١١١٩م بسبب سوء التخطيط الذي قام عليه التحالُف الصليبيّ ضد جيوش الأمير إليغازي، كما وصلت قوات التحالُف الصليبية المرسلة لمنع عماد الدين زنكي من السيطرة على الرها عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م متأخرة، فلم تحقق أيَّة نتيجة، كما فشل تحالف وجهاء مدينة دمشق مع الملك بلدوين الثالث لدفع نور الدين زنكي عنها عام ٥٤٥هـ/ ١١٥١م بسبب وصول القوات الصليبيّة بعد سيطرة نور الدين زنكي عليها.

خامساً- الضغط على عدة جبهات (العمل المشترك)، وتوفر قنوات الاتصال.

إن استخدام اسلوب القتال بالضغط على عدة جبهات من الأساليب المُتَّبعة لدى قوات التحالُف التي يكون تحالفها غير متصل مع بعضه بحيث تكون بعض القوات منفصلة عن بعضها الآخر وموجودة في مكان ثانٍ، وتستطيع هذه القوات فتح جبهات قتال متعددة مع العدو مما يُضَعْف قواته ويشتتها، فحصار قلعة الكرك من قبل نور الدين زنكي عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م كان بسبب إضعاف القوة الصليبيّة المُحاصرة لدمياط بقيادة الملك عموري، ولكن هذا الأسلوب لم ينجح بشكل كامل بسبب استخدام الملك عموري قوات التحالُف الصليبيّة البيزنطية للضغط على نور الدين في الكرك حيث انسحب الأخير إلى حمص.

وضُيعت الجهود وبُدِّدت الإمكانات بسبب عدم توافر الاتصالات الجيدة بين القوات المتحالفة، فقد فشل تحالف مملكة بيت المقدس مع القوة القبرصية بقيادة الملك وليم عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م بسبب عدم معرفة الملك وليم بموت الملك عموري قبل إرساله للقوات العسكرية.

وعلى النقيض من ذلك نجد أن التحالُفات الإسلاميّة التي أبرمها المسلمون في عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود وصلاح الدين قد ارتكزت في نجاحها على عدة عناصر، كان منها اختيار التوقيت المناسب لعقْد الاتفاقيات والهدن وخاصةً في فترات القلائل والاضطرابات الداخلية الصليبيّة، واتباع سياسة الحسم العسكري، وعدم الدخول بالمفاوضات إلّا من مركز قوة، واستقرار القوة العسكرية وثباتها في المواقع المحررة وعدم انتقالها إلى موقع آخر حتى تستقر الأمور، والسيطرة على المدن المحتلة من قبل الصليبيّين بحسب قربها وتأثيرها على المدن الإسلاميّة ومراكز قوة الدولة الإسلاميّة، وتقليص نفوذ الإمارات الصليبيّة الكبرى على محيطها وإرهاقها بشكل تدريجي حتى تفقد أهميتها، ويصبح من السهل السيطرة عليها مع طول الوقت، والمحافظة على الروح المعنوية العامة للمسلمين وللجند بشكل خاص، من خلال تحرير الأسرى والدفاع عن أيَّة أرضٍ إسلامية مهما كان حاكمها (وشاح، ٢٠١٩: ٢١-٢٢).

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، هي:

1. إن أكثر الفترات التي حقق فيها الصليبيّون نجاحات في التحالُفات فيما بينهم ضد المسلمين هي الفترات التي يكون فيها للقوى الصليبيّة قيادة واحدة مركزية، والتي تمنع التنازع والتناحر بين الأمراء الصليبيّين، خاصةً إذا كانت القوى الإسلاميّة في المقابل تعاني من حالة الانقسام والتفرق، وهذا مُلاحظ بشكلٍ كبيرٍ في فترة حكم بلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) كملك لمملكة بيت المقدس.
2. خلال فترة حكم بلدوين الأول كملك لمملكة بيت المقدس كانت التحالُفات الصليبيّة لمواجهة الخطر المصري على المدن الصليبيّة الواقعة على الساحل الشامي مكونة من الإمارات الصليبيّة الواقعة على الساحل الشامي فقط، بينما ساعدت هذه المدن الصليبيّة الساحلية مدن الشمال السوري الصليبيّة، وتحالفت معها لصد الحملات العسكرية التركية من الأناضول والموصل وبلاد الشام، وهذا راجع إلى السيطرة القوية التي كانت لبلدوين الأول Bldwn I (١٠٥٨- ١١١٨م) على المدن الساحلية التي كانت تستجيب لأوامر الملك في إرسال قواتها العسكرية حيثما أراد، بالإضافة إلى قناعة بلدوين بضرورة الحفاظ على الإمارات الصليبيّة التي تأسست في الشمال وعلى رأسها إمارة الرها.
3. إن استخدام الصليبيّين للقوة البيزنطية من خلال التحالُفات كان قليلًا، وهذا راجعٌ إلى التخوُّف المستمر لدى الزعماء الصليبيّين من وجود جيوش بيزنطية بالقرب من إماراتهم خاصة إذا كانت هذه الجيوش بقيادة أحد الأباطرة البيزنطيين القويّين وفي ظل حالة الادعاء المستمرة من قِبل هؤلاء الأباطرة في حقوقهم القديمة في الإمارات الشمالية وتذكيرهم للصليبيين بيمين الولاء الذي أقسمه الأمراء الصليبيّون الأوائل عندما قدموا من أوروبا.

4. يستخدم الصليبيّون ورقة وَحْدَة الديانة المسيحية بين الأرثوذكس واللاتين كلما دعت لها الحاجة، خاصة مع أمراء الأرمن وزعاماتهم، وذلك في محاولة منهم لجذبهم نحو التحالُف معهم ضد أعدائهم من المسلمين ومن الصليبيّين أنفسهم.

5. كان استخدام القوى الإسلاميّة والتحالُف معها من قِبل بعض الأمراء الصليبيّين هدفاً كبيراً وخاصةً في سبيل كبْح جماح طموحات الأمراء الصليبيّين الآخرين في الاستقلال بالإمارات التي يحكمونها بموجب التفويض المؤقت الذي نالوه في فترةٍ مَّا.

6. استفادت القوى الصليبيّة من حالة التنافس والتصارع التي كانت بين أمراء القوى الإسلاميّة في منطقة بلاد الشام والعراق، حيث ظلت طوال وجودها في المنطقة تستخدم أسلوب (فرّق تسُد) وتحاول دوماً التحالُف مع الطرف الذي يحقق أهدافها ويساعدها في منْع وجود قوة إسلامية كبيرة في المنطقة وذلك من خلال تشجيع الأمراء المنشقين عن السلطة المركزية وتعزيز نفوذهم في مناطقهم والارتباط معهم باتفاقيات.

7. إن التحالُفات الصليبيّة كانت أكثر نجاعة ونجاحاً عندما قامت وهي في موقف الدفاع عن نفسها ضد هجمات القوى الإسلاميّة، والعكس أيضاً صحيح، فكثيراً ما كان مصير هذه التحالُفات الفشل إذا ما قامت وهي في حالة الهجوم.

8. إن التحالُفات الصليبيّة مع القوى الإسلاميّة كانت في كثير من الأحيان سبباً لإعادة لَمِّ شَمْل القوى الصليبيّة خاصة في ظل وجود ملكٍ صليبيٍّ قويٍّ لمملكة بيت المقدس أو حضور ملك صليبيٍّ كبير من أوروبا.

9. لم تحقق التحالُفات بين الإمارات الصليبيّة نتائج كبيرة في فترة حكم نور الدين زنكي، وذلك راجعٌ إلى سيطرة نور الدين على عدد من المدن الشامية التي خلفها له والده عماد الدين زنكي، بحيث أصبح بيده قوة عسكرية تستطيع ردَّ التحالُف الصليبيّ الذي كان هشًّا في تلك الفترة، على الرغم من عقد الصليبيّين تحالُفات مع البيزنطيين في نفس الفترة.

10. إن توافر جميع الاستنتاجات يعني توفر متطلبات التحالُف الناجح وهو من الأسباب المؤكدة لنجاح التحالُف المبرم، بينما يكون غياب بعض هذه المتطلبات من الأسباب التي قد تؤدِّي إلى فشل هذا التحالُف.

11. إن عامل رفع الروح المعنوية الذي برز عند المسلمين وأسهم في نجاح تحالُفاتهم قد غاب عن القادة الصليبيّين حيث كان من مقومات الروح المعنوية العالية الاستجابة لاستغاثة الإمارات الصليبيّة الأُخَر التي لم تكن تتم إلّا إذا كانت للأمراء الصليبيّين مصالح من هذه الاستجابة وكذلك تحرير الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين والذين لم يكن يتم تحريرهم إلّا إذا اتبعوا إحدى المنظمات الدينية أو كانوا محاربين متمرسين ويتبعون لملك أو أمير صليبيٍّ بينما بيع كثيرٌ من الحجاج الفقراء والمُعدَمين في الأسواق لعدم دفْع الصليبيّين تكلفة فك أسرهم.

12. قد عرف عن الصليبيّين بشكل عام نكثهم لاتفاقاتهم وتعهداتهم وهذا جعل الكثير من القوى المحيطة بهم ترفض التحالُف معهم وحتى إن تم ذلك فلا تسخر هذه القوى إمكانياتها كاملة لإنجاح هذا التحالُف لمعرفتهم بانقلاب الصليبيّين عليهم في أي وقت.

المراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام، ١٠ ج، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

أخن، ألبرت فون (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، تاريخ الحملة الصليبيّة الأولى، ترجمة سهيل زكار، م٥١، دمشق، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبيّة.

أمين، عبد الأمير محمد ومحمد توفيق حسين (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بغداد، مطبعة جامعة بغداد.

البطاوي، حسن أحمد (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م)، مصادر تموين الحملة الصليبيّة الأولى ٤٨٨- ٤٩٢هـ/ ١٠٩٥- ١٠٩٩م، العدد ٢٧، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط.

توديبود، بطرس (١٤١٦هـ/ ١٩٩٨م)، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ط١، نقلة إلى الإنجليزية جون هيوج هيل ولوريتال. هيل، ترجمة وتعليق حسين محمد عطية، مصر.، دار المعرفة الجامعية.

ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله المعروف بـ سبط ابن الجوزي (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ط١، تحقيق وتعليق محمد بركات وآخرون، ٢٣ج، دمشق، دار الرسالة العالمية.

حجازي، فايزة عبد الرحمن (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل ٦١٥- ٦٣٥هـ/ ١٢١٨- ١٢٣٨م وفريدرك الثاني ٥٩٤- ٦٤٨هـ/ ١١٩٧- ١٢٥٠م من خلال المصادر الإسلاميّة، العدد ١، اتحاد الجامعات العربية- الجمعية العلمية لكليات الآداب، مصر.

رنسيمان، ستيفن (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، تاريخ الحملات الصليبيّة، ط ٢، ترجمة نور الدين خليل، ٣ج، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتب.

الرهاوي، متى (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م)، تاريخ متى الرهاوي الإفرنج (الصليبيّون)- المسلمون – الأرمن، ترجمة وتعليق محمود الرويضي وعبد الرحيم مصطفى، ط١، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

الرويضي، محمود محمد (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، إمارة الرها الصليبيّة (١٠٩٧- ١١٥١م/ ٤٩٩ - ٥٤٦هـ)، ط١، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.

زكي، عبد الرحمن (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م)، القلاع في الحروب الصليبيّة، المجلد ١٥، مصر، الجمعية التاريخية المصرية.

الشارتري، فوشيه (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، تاريخ الحملة إلى القدس ١٠٩٥-١١٢٧م، ط١، ترجمة زياد العسيلي، الأردن، دار الشروق.

الصوري، وليم (١٤١٠هـ/ ١٩٩١م)، الحروب الصليبيّة ١٠٩٤-١١٨٣م، ترجمة وتعليق حسن حبشي، ٤ج، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب.

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي كمال الدين ابن العديم (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ط١، تحقيق وتعليق خليل المنصور، لبنان، دار الكتب العلمية.

عمران، محمود سعيد (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، الحملة الصليبيّة الخامسة، ط٢، دار المعارف، الإسكندرية.

عوض، محمد مؤنس أحمد (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، الحروب الصليبيّة العلاقات بين الشَّرق والغرب في القرنين ١٢ – ١٣م / ٦ – ٧ هـ، ط ١، الأردن، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

الفتري، يعقوب (١٤١٨هـ/١٩٩٨م)، تاريخ بيت المقدس، ترجمة وتعليق سعيد البيشاوي، الأردن، دار الشروق.

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاة بن أيوب (د. ت)، المختصر في أخبار البشر، ط١،٤ج، مصر، المطبعة الحسينية المصرية.

ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، تاريخ دمشق، ط١، تحقيق سهيل زكار، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر.

ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، البداية والنهاية، ١٥ج، بيروت، دار الفكر.

كومينيا، آنا (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م.)، الإلكساد، ط١، اعداد وتحقيق حسن حبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشباب.

كينامـوس، يوحنا (١٤١٦هـ/ ١٩٩٧م)، أعمال جون ومانويل كومينوس، ترجمة سهيل زكار، م٢٨، دمشق، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبيّة.

مؤلف مجهول (١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م)، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ط١، ترجمة وتعليق حسن حبشي، بيروت، دار الفكر العربي.

مؤلف مجهول (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٦م)، تاريخ الرهاوي المجهول، عربة عن السريانية ووضع حواشية الأب البير أيونا، ٢ج، بغداد، مطبعة شفيق.

مؤلف مجهول (١٤١٤هـ/ ١٩٩٥م)، تاريخ المورة «الصليبيّيون كغزاة»، ترجمة سهيل زكار، م١٠، دمشق، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبيّة.

مؤلف مجهول (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ذيل تاريخ وليم الصوري، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب.

أبو المظفر، مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزوري (١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، الاعتبار، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.

النفيسي، عبد الله مشاري (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١)، عمارة القلاع والحصون في المخطوطات الأوروبية المصورة في العصور الوسطى، العدد ٤، مصر، مجلة جامعة حلوان.

ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال وآخرون، ٥ج، مصر، دار الكتب والوثائق القومية.

وشاح، غسان محمود أحمد، المفاوضات بين الزنكيين والصليبيّين ٥٢٠- ٥٦٩هـ/ ١١٢٧- ١١٧٤م، مجلة الجامعة الإسلاميّة للبحوث الإنسانية، العدد ٢، المجلد ٢٧، ٢٠١٩م.

ويندوفر، روجر أوف (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ورود التاريخ، ترجمة سهيل زكار، م٣٩، دمشق، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبيّة.

يوسف، جوزيف نسيم (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبيّة الأولى، ط٢، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.